لم تسأم الإدارة الأمريكية طوال شهور ماضية تشغيل أسطوانتها المتكررة المنسوخة حرفيا عن الأسطوانة الإسرائيلية: " عرفات لم يفعل شيئا لوقف إطلاق النار. عرفات لم يحارب الإرهاب بما فيه الكفاية. عرفات لم يعمل ضد البنية التحتية للإرهاب." وثابر المسؤولون الصغار أمثال الناطق الرسمي للخارجية أو للبيت الأبيض والمسؤولون الكبار أمثال نائب وزير الحرب ونائب الرئيس، على هذا الطنين والأزيز ضمن مسرحية الكرباج والجزرة، ليمثلوا دور الكرباج، ويسندوا دور الجزرة لكولن باول الموكل إليه استخدام صيغ خفيفة تخالف صيغ بقية الجوقة، وذلك مثل قوله إن عرفات لم يكن على علاقة مباشرة بحادثة السفينة وإنما معاونوه. وفي يوم الجمعة الماضي جرى تصعيد لهجة الكرباج وأبى جورج بوش إلا أن يضيف طبعة جديدة للأسطوانة المشروخة، فقال إن أمله خاب في ياسر عرفات وإن ياسر عرفات يعزز الإرهاب في الشرق الأوسط! وأكثر من هذا: أرسل الرئيس الأمريكي رسائل إلى رؤساء مصر والأردن والسعودية تتحدث عن (الأدلة) التي توفرت للولايات المتحدة وتدل على أن الرئيس الفلسطيني متورط بنفسه في موضوع السفينة.

هذه المسرحية الضاغطة، هدفها القريب إدخال المجتمع الفلسطيني في حرب أهلية، وهدفها الأبعد إجبار القائد الفلسطيني على التوقيع على وثيقة شارون لابتلاع الأرض الفلسطينية واستعباد من يبقى من البشر الفلسطينيين. ولكن الأمريكيين والإسرائيليين يخطئون مرة أخرى فهم شخصية ياسر عرفات وشعب ياسر عرفات. فالمرونة التي سبق للزعيم الفلسطيني أن أبداها في قبول مبدأ التعايش على أساس الأمر الواقع، حقنا للدماء واستجابة لنصح القادة العرب وتقديرا لظروف الداخل الفلسطيني والعمق العربي، لم تصل أبدا إلى درجة قبول العقيدة الصهيونية والمنطق الصهيوني. وما مشروع شارون المضمر، ولا ضغوط بوش اليوم إلا محاولة لفرض العقيدة والمنطق الصهيونيين كما جاءا في تعاليم جابوتنسكي، نبي العنف والأحقاد وزعيم شارون ونتنياهو وشامير وبيجن. لقد بنى الأمريكيون والإسرائيليون تحليلاتهم على الأوهام. فحسبوا براجماتية ياسر عرفات ومرونته انسياقا أو اندلاقا لا تحكمه الضوابط. ولم يفهموا أن الرجل الذي استخدم رصيده النضالي ومكانته الشعبية في تشجيع الأغلبية الفلسطينية على تقبل تسوية مرة تغص بها الحلوق، لم يكن ليصبح سعد حداد ولا إميل لحد، وإنما أراد أن يعطي شيئا ليأخذ شيئا، وتلك هي السياسة وفن الممكن، وأراد أن يفتح للفلسطينيين أفقا جديدا وبابا على مستقبل أفضل هو الدولة الفلسطينية المستقلة. وذلك غرضه الذي جاهر به وحافظ عليه محافظة الجندي طوال المسيرة.

<u>انتصار السجين على السجان</u>

وعندما يتصور الرجال الصغار في غرف العمليات العسكرية والسياسية المعادية أن ألاعيب الكرباج والجزرة تجوز على رجل يتمتع بهذا الرصيد النضالي وهذه الخدمة الثورية الطويلة، فإنهم يهينون ذكاءهم، بينما ياسر عرفات يضحك في سره، حتى وهو محاصر بالدبابات الإسرائيلية الحديثة، ومحروم مما حسبه الأغبياء حاجة سيكولوجية شديدة، أعني حرمانه من السفر والاتصال المباشر بالعالم.. ففي مقابل هذه الترسانة الهائلة من مواسير المدافع المصوبة تجاهه مد ترسه البسيط القاطع: الترحيب بالاستشهاد. ولاحظ يا قارئي العزيز أن ياسر عرفات لم يعمد مرة واحدة للشكوى والتذمر من الحصار والأسلحة المصوبة نحوه، في حين ضجت المراجع الإسرائيلية بالصراخ عندما دعا الله أن يرزقه (الاستشهاد في رباط القدس)! ونادى مناديهم بالويل والثبور كأنما ضبطوا الزعيم الفلسطيني متلبسا بجناية خطيرة.

وكأنه يشهر سلاحا ممنوعا! وهذا هو انتصار السجين ذي القضية النبيلة على السجان الظالم المفتري.

ومن الأوهام الأخرى التي غذاها هؤلاء الصغار في مخيلاتهم ومخيلات أتباعهم صورة رسموها للشعب العربي الفلسطيني كما يرغبون أن يكون. وادعوا لها الواقعية من خلال ملاحظتهم بعض النماذج التي لا يخلو منها شعب واقع تحت الاحتلال. أو من خلال تفسيرهم المبالغ فيه لوقوف آلاف العمال بالطابور أمام مكاتب ضباط المخابرات بغية تجديد بطاقات العمل. فظن الاحتلال أنه حين جعل رغيف الخبز طعما لاصطياد ذوي الحاجة من الناس قد ملك أرزاقهم وسيطر على ضمائرهم. ونسي أن الرزق على الله وأن ضمائر الناس لا تتحول عن الفطرة التي فطر الناس عليها: فطرة الدفاع عن الوطن واحتقار الخيانة وكراهية الظالمين.

<u>الفلسطينيون ليسوا مرتزقة</u>

أليس هؤلاء العمال الذين يقفون بالساعات أمام مكاتب تجديد تصاريح العمل هم الذين أنجبوا هذا الجيل الفلسطيني الذي فاجأ أجهزة القمع الإسرائيلية وفاجأ العالم بقدرته على دفع الظلم التاريخي المتراكم بالمقاومة المتجددة؟ ألم تكن انتفاضة عام ١٩٨٧ تكذيبا للأوهام التي توهمها الاحتلال بعدما نسجت أجهزة القمع المتفرغة التابعة له الآلاف من شبكات نسيج العنكبوت المدن والقرى والمخيمات، فإذا بها تتهاوى في لحظة الحقيقة التي سطعت بها الشخصية الفلسطينية،كأسرع وأهون ما يكون التهاوي. وألم تتفجر انتفاضة النفق وانتفاضة الأقصى بعدها حين خيل لأجهزة القمع الحاكمة في إسرائيل أن جسد المقاومة الفلسطينية كله صار في قبضة الاحتلال داخل الوطن القفص؟! إن منى نفس أجهزة القمع الإسرائيلية أن يصبح شعب عريق بأجمعه عبارة عن مفارز حراسة أو شبكات تجسس وعمالة للاحتلال. إنها المنى التي لم يتمكن من تحقيقها الجستابو نفسه في تجربته التي يتتلمذ عليها الاحتلال إذ بقيت المقاومة قائمة في جميع البلدان التي احتلها هتلر في الحرب العالمية الثانية ومن ذلك المقاومة الفرنسية بقيادة ديجول. وعندما يقرأ المرء في الصحف الإسرائيلية عن التقارير التي كتبها باحثو وزارة الحرب الإسرائيلية حول دوافع المقاتلين الاستشهاديين، قائلة إن أبحاثهم دلت على أن تلك الدوافع ليست (اقتصادية) ولكنها (وطنية) و (دينية) فإن المرء لا يملك إلا أن يستسخف تلك الأبحاث والقائمين عليها. فهل البديهيات بحاجة إلى براهين يا أصحاب أبو العريف؟! أم أنكم أطلقتم أكاذيبكم لتشويه وجه المقاومة من قبل ثم صدقتموها لدرجة أنكم صرتم في حاجة إلى أبحاث علمية لترجعوا للحقيقة البديهية من جديد؟!

<u>(حدوتة) السفينة</u>

السفينة وقصتها الأسطورية هي أيضا من الأكاذيب التي صنعها وأدارها الإسرائيليون بواسطة بعض عملائهم وورطوا في تصديقها الأمريكيين. فإذا كان ياسر عرفات يقول للأمريكيين وللإسرائيليين معهم أنه مستعد لمشاركتهم في لجنة تحقيق في الموضوع فلماذا تستمر الإدانة؟ وعلى أية جريمة؟ فهل ياسر عرفات ساحر حاو سيلعب بلجنة تحقيق دولية أو ينوم أعضاءها مغناطيسيا فلا يبصروا الحقيقة؟ ومن الناحية الأخرى هل جريان سفينة تحمل سلاحا في بحر تقع على ضفتيه العديد من الدول، وتمخر فيه مئات البواخر جريمة في حد ذاتها؟ أليست هناك ثمة آلاف الافتراضات التي تحيط بوجهة السفينة وما كان سيكون عليه مآلها؟ ثم هب أن فلسطينيا قائدا أو غير قائد حاز سلاحا عن بعد، فهل حيازة السلاح حيازة مخدرات؟ هل الجناية في نظر الأمريكيين هي حيازة السلاح أم استعماله الفعلي؟ وما هذا

التحوط العجيب الذي استباح الإسرائيليون معه أن يهاجموا سفينة على بعد خمسمائة كيلومتر عن شواطئهم؟ ومن هو الذي يمكن الركون إلى قوله بصدد النية في استخدام هذا السلاح إذا كان السلاح لم يصل إلى يد صاحبه المفترى عليه؟ وهب أن السلاح وصل إلى يد قائد فلسطيني، فهل حمولة تلك السفينة أثقل من القنابل الذرية في مخازن الإسرائيليين، وهل كان من شأنها أن تغير ميزان القوى في المنطقة؟ وأخيرا وإذا صمم بوش بهتانا على أن السفينة والحمولة كانتا للفلسطينيين: لماذا لا يقول المراقبون الغربيون مثلا إن إغلاق باب العمل السياسي وإطلاق الاحتلال أسلحته في البر والبحر والجو على الفلسطينيين هو حشر للفلسطينيين في زاوية إجبارهم على الدفاع عن أنفسهم بكل وسيلة متصورة، بما فيها السلاح؟

من الواضح أن (حدوتة) السفينة مفتعلة في وقائعها وفي الضجة الهائلة المثارة حولها. وهي واحدة من مخترعات الدعاية الصهيونية التي يقوم الإسرائيليون بتسويقها في إسرائيل وأمريكا والعالم كله، في سياق كسب المعركة التي فتحوها ضد الشعب الفلسطيني، لإجباره على الاستسلام دون قيد أو شرط.

الكمبيوتر والحياة

اعلموا إذن أنه لا ياسر عرفات ولا شعب ياسر عرفات قابلون للاستسلام. ولا تفهموا أنتم، ولا جماعتكم الأمريكيين، من المناشدة التي وجهها الرئيس ياسر عرفات أخيرا إلى جورج بوش لمعاودة الجهود الديبلوماسية أو لإيفاد أنتوني زيني أن عرفات قد رفع الراية البيضاء لدباباتكم، ولكن عرفات ما زال محافظا على توازنه، ولا يأتي بأية حركة عصبية لا لزوم لها. وإذا أغلقتم جميع الأبواب في وجه سياسته المسؤولة، فإنكم بذلك تفتحون بابا غير مسؤول لا يغلق في عموم المنطقة وأوساط ملايين أجيالها الطالعة، بغض النظر عن الأوساط المهترئة التي اعتدتم التعامل معها واحتفظتم في سفاراتكم بسجلاتها وقوائم تصنيفها وبرمجتها متوهمين أن ما ملكتموه داخل أجهزة كمبيوتراتكم قد ملكتموه في الحياة حقا.

يريد ياسر عرفات أن يوفر دماء كثيرة وأن يقود شعبه إلى شاطئ الأمان. ويريد شارون أن يقيم امبراطورية على حساب الامبراطورية الأمريكية (ولا مانع لديه من إقامتها على أنقاضها). ويريد جورج بوش حتى الآن أن يستمر وفريقه في كراسيهم ثماني سنوات.

لقطات الأسبوع:

- **حمل أحد الأطباء العائدين داخل سيارة إسعاف من الضفة الغربية إلى القطاع كيسا به كمية من الزعتر. وعند نقطة التفتيش أجرى الموظف الإسرائيلي آلة الفحص فوق كيس الزعتر المغلق فإذا بالآلة تصدر أزيزها، واستدعى الموظف على الفور ثلاثة طواقم من رجال الأمن وهندسة المتفجرات. وقامت الطواقم بتوجيه عشرات الأسئلة عن مصدر الزعتر وظروف شرائه. وعلى الرغم من تأكيد الطبيب لهم المرة تلو المرة أن الزعتر خال من أية شبهة وأنه كان غموس إفطاره وإفطار مرافقيه وأنه مستعد لفتح الصرة وأكل الزعتر أمامهم فإنهم عاملوا الزعتر معاملة المتفجرات وأحاطوا الصرة بمسافة أمن كافية ثم فجروه. وفاحت رائحته أعلى من رائحة التي إن تي! والسؤال الذي يخطر بالبال: هل يشتمل الزعتر في مكوناته على مادة الحديد مثلا!**

ليس المرء ضليعا باللغة الإنجليزية ليعرف: هل كلمة (التوسل) و(التسول) في تلك اللغة يأتي من الجذر اللغوي ذاته كما هو الحال في اللغة العربية؟!

- **ما زالت قوات الاحتلال تقوم بأعمال التجريف في بيارات منطقة مفرق الشهداء. وتتجدد هذه الأعمال كلما وقعت في المنطقة عملية فدائية. وقال لي أحد المواطنين الذين جرفت لهم مساحة عشرين دونما من الحمضيات في هذه المرة الجديدة وحدها: جاءني رجال الارتباط وقالوا إن بوسعي أن أقص أشجاري بنفسي من أسفل مبقيا على الجذوع على أساس ادعاء الإسرائيليين أنهم معنيون فقط بإتاحة الرؤية حولهم عن بعد، ولكن هيهات، فعندما وصلت كانت الجرافات أسبق إلى جرف الشجر من جذوره. وأضاف دامع العينين: أقول لك إنهم يستلذون تخريب ديارنا.**

- **أطلقت الإذاعة الإسرائيلية على الفدائيين الفلسطينيين لقب المخربين. والواقع أن أساتذة التخريب في العالم هم المحتلون الإسرائيليون. ونظرة على كشف المزارع والمصانع والمنازل والطرق والمرافق الفلسطينية التي خربها المحتلون في عهد باراك وشارون وحدهما تكفي لإثبات ذلك.**

- **أية عودة إلى مائدة المفاوضات مع شارون.. إذا كان الجسر الضخم الذي ينشئه الاحتلال بين الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وعام ١٩٤٨ في منطقة المطاحن على طريق غزة خانيونس يتكلف مئات آلاف الدولارات؟**

- **علل المؤرخون الأعمال الوحشية التي تحدث عنها التاريخ البشري قديما ببدائية المحاربين آنذاك. فما بال الذين يدعون قيادة الحضارة والمدنية اليوم أشد وحشية من البدائيين.**

- **هل كان الأمر يستدعي ذهاب لجان تحقيق إلى قاعدة الجيش الأمريكي في غوانتانامو لاستقصاء خروقات حقوق الإنسان في سجن رجال القاعدة، إذا كانت الصورة التي ظهر فيها الأسرى بملابسهم الحمراء في (الأقفاص) معصوبي العيون مقيدي الأيدي كافية وحدها، والسؤال البسيط الذي لا يحتاج إلى استقصاءات هو: ألا تكفي عصابات العيون وقيود الأيدي وتغني عن الأقفاص؟ أم أن المسألة مقصود منها توجيه رسالة إلى العالم كله؟**

- **لا يندهش المرء من أي شيء يحدث في السياسة الأمريكية إذا كان قد اطلع سابقا على (دليل الحكم) الذي جهزته للرئيس الأمريكي لجنة من (الخبراء) في بداية ولايته.**